دور المرأة في الحضارة العراقية القديمة

أ.م.د. أحمد حسين أحمد الجميلي
جامعة الأنبار – كلية الآداب

المستخلص

استعرض هذا البحث دور المرأة في الحضارة العراقية القديمة وتناول البحث محاور عدة على الصعيد الاجتماعي والسياسي والديني والاقتصادي ولنؤكد أن العراقيين القدماء هم أول من تبنى وطبق فكرة الديموقراطية وحقوق الإنسان وقد خلدت المخلفات الآثارية المرأة إما آلهة في صور وتماثيل وإما توقيراً واحتراماً في شرائع وقوانين، فكانت المرأة فيها الصورة الأبرز للإنسان والإنسانية معاً.

The Role of Woman in the Iraqi Ancient Civilization

Assist. Prof. Dr. Ahmed Hussin Ahmed Al-Jumili
Anbar University – Arts College

This research reviewed the role of woman in the Ancient Iraqi Culture. And it involved several pivots on the sociable, political, religions and economic level. And to confirm that the Ancients Iraqi were the first who inspired and applied the democracy idea and human rights. The ancient monuments immortalized woman either as a goddess in images and statues or as reverence and respect in Sharias and Laws. So woman was the most prominent figure for human and humanity together.

المقدمة

إن اختيار موضوع البحث ((دور المرأة في الحضارة العراقية القديمة)) وذلك للوقوف على مكانتها منذُ أقدم العصور وما مرت به من تطورات لأن أغلب الشرائع والقوانين العراقية جاءت تذكر دورها وأهميتها في المجتمع... ولنؤكد أن العراق القديم هو من أستوصى وطبق فكرة الديمقراطية وحقوق الإنسان أولاً وليس أي بلد آخر وأن العراقيون القدماء هم أول من وقر المرأة ومنحها بعضاً من حقوقها المشروعة، فقد رفُعت المرأة على مصاف الآلهة إن لم تكن آلهة تعبد وتقدس ويشار إليها بالتوقير والاحترام وكان ذلك لدورها العظيم في صنع الحياة مع قرينها في الوجود الرجل.

لقد خلدت المخلفات الآثارية المرأة أما آلهةً في صور وتماثيل أو شرائع وأحكام ... فكانت فيها جميعاً الصورة الأبرز للإنسان والإنسانية معاً.

ولعل التوصية أَلتي تقول ((إصغ إلى كلام أَمك كما تصغي إلى كلام الآلهة)) تعكس بصورة واضحة أهمية ومكانة المرأة عموماً ورجاحة عقلها ما جعلها تحترم هذا الاحترام الذي توصي به الشرائع العراقية القديمة.

وتناول البحث محاور عدة:

أولاً: دور المرأة في الحياة الاجتماعية (الزواج، الطلاق، الوراثة).

ثانياً: دور المرأة في الحياة السياسية (الملكة الآشورية سمير أميس، الملكة البابلية نيتوكرس).

ثالثاً: دور المرأة في الحياة الدينية (عبادة الأم، إدارة المعابد).

رابعاً: دور المرأة في الحياة الاقتصادية.

دور المرأة في الحضارة العراقية القديمة

- **تعريف المرأة.**

هي الإنسانة فهي مؤنث المرء، وهو الإنسان. قال الأزهري ((إمرأة)) تأنيث أمريء[١]. وجاء في اللسان ((المرء: الإنسان، تقول هذا مرءَ، وكذلك في النصب والخفض تفتح الميم، هذا القياس))[٢]. ومما يدل على أنه مؤنث مرء ما ذكره أهل اللغة من الألف فيه للإلحاق، ويقول الأزهري: ((الألف في أمرأة وأمرء ألف وصل))[٣]. وجاء في اللسان: ((وألحقوا ألف الوصل في المؤنث أيضاً، فقالوا: أمرأة فإذا عرفوها قالوا: المرأة))[٤].

وللعرب في المرأةِ ثلاثة لغات، يقال: هي أمرَأَتُه وهي مَرأَتُه وهي مَرَتَهْ[٥]. وحكي أبن الأعرابي: ((أنه يقال للمرأة إنها لامرؤ صدقٍ كالرجل. قال وهذا نادر))[٦].

أولاً: دور المرأة في الحياة الاجتماعية:

تُعد الأسرة هي اللبنة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع العراقي وأن صلاح هذه الأسرة هو صلاح المجتمع وفسادها هو فساد المجتمع، فالأسرة تتكون عادةً من الأب (الزوج) والأم (الزوجة) والأولاد وقد تضم الأسرة أخوة الأب وأخواته ووالديه وكان يقف على رأس هذه الأسرة الأب فهو المسؤول عن حمايتها والإنفاق عليها وتركز جميع السلطات بيده.

أما الأم (الزوجة) فكانت في المرتبة الثانية من حيث الأسرة فهي المسؤولة عن إدارة شؤون البيت وتربية الأطفال ... وكان للمرأة دور بارز في العراق القديم فهي تمتلك الأموال وتمتهن التجارة وتدخل المعبد وتصبح كاهنة ولها حق الاختيار في الزواج والطلاق في حالات معينة[٧]. وسأوضح ذلك من خلال:

١- الزواج:

لقد كان الزواج في الأسرة العراقية القديمة في بلاد ما بين النهرين يقوم على أساس أحادية الزوجة، فليس من حق الرجل أَن يتخذ زوجة أخرى إلاّ في حالات معينة وهذه الحالات هي مرض زوجته مرضاً لا يرجى شفاؤه أو عدم إنجاب الزوجة للأطفال وكذلك عدم احترام الزوجة لزوجها وعدم طاعته والتقليل من قيمتهِ[٨].

ولم يكن يعترف بالزواج قانوناً إلا إذا كان بعقد مكتوب ومشهود عليه ويكون ذلك بموافقة الوالدين، وفي المادة (١٢٨) من قانون حمورابي إن المرأة لا تصبح زوجة رسمية وشرعية دون عقد مكتوب ووجود موافقة والديها[٩].

ومن الطبيعي ان من مقومات الزواج وكمالهِ إنجاب الأطفال لتكوين الأسرة وهي حق مشروع ولكن إن حدث ولم تنجب الزوجة الأطفال وخاصة بعد صرفه الأموال على هذا الزواج الذي يعد فاشلاً في تحقيق هدفه فللزوج الحق في أن يختار واحداً من بين أمورٍ عدة، فهي: إما أن يتزوج زوجة ثانية وعندها تكون الثانية أقل مرتبة من الزوجة الأولى، أو أن يقوم الزوج بتطليق زوجته الأولى ويتزوج غيرها أو أن يحافظ الزوج على زوجته لكن يقوم باتخاذ إجراء آخر وهو أن يتخذ إحدى (الإماء) سرية للإنجاب، أو يتبنى طفلاً أو أكثر ويعده أبناً له[١٠]. ومن الأمور المهمة التي يجب ذكرها هو حقوق المرأة العراقية منذ أقدم العصور في الإدلاء برأيها في الزواج أو في الرجل المتقدم لها ضمن حق الزوجة بالموافقة أو الرفض وهناك من النصوص ما يؤكد هذا الأمر. فهناك وثيقة يعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، أكدت على حرية الاختيار وجاء فيها:

((أَن رجلاً خطب فتاة من والديها فرفضته .. وعندما رفضته خطب أختها الصغرى التي رضيت به وأصبحت زوجة له))[١١].

وهناك نصوص تدل على الموضوع ذاته أي حق الاختيار بالرفض أو القبول ومنها ما وصل إلينا من نوزي[١٢]، إذ جاء فيها:

((هكذا صرح أكيولين أبن أكيا أمام هؤلاء الشهود وقال لقد أعطيت أختي بلتكا دومي لتكون زوجة إلى حرازي أبن أيناي وقبضت منه أربعين شيقلاً من الفضة ... وأقر بالقبض وصرحت بلتكا دومي أمام هؤلاء الشهود وقالت: أعطاني أخي أكيولين برضاي إلى حرازي لأكون زوجة له))[١٣].

إن ما يلفت الانتباه في الوثيقتين اللتين سبق ذكرهما كلمتا (رفضته) في الوثيقة الأولى و(برضاي) في الوثيقة الثانية إذْ تدلان على مدى تمتع المرأة في الحضارة العراقية بحقوقها في حرية الاختيار والرفض والقبول[١٤].

كما كان الزواج يتم في بعض الأحوال بطريق شراء المرأة؛ ففي السنة الثالثة عشرة من حكم العاهل (نبوخذ نصر) الثاني (٦٠٤- ٥٦٢ ق. م) – كما جاء في أحد الألواح- طلب (داجيل إيلي) إلى (هاما) بنت، (كزكال، أدين) ((أعطني أختك (لاتوباشيني) لتكن زوجة لي)) وتمت الصفقة فنقد (داجيل- أيلي) (هاما) في مقابل أختها (مينا ونصف) من الفضة وعبداً ثمنه نصف (مين) من الفضة. ويبدو أن الزواج بطريق الشراء كان أكثر شيوعاً لدى الآشوريين[١٥].

٢- حق المرأة في الطلاق:

لقد كان الطلاق معروفاً عند العراقيين القدماء ولكن كان محدوداً في حالات معينة. ولأهمية المرأة في العراق القديم فقد جاءت أغلب القوانين لتحفظ مكانة وحقوق الزوجة وهذا ما وجدناه في قوانين حمورابي وكذلك القوانين الآشورية[١٦]. وكان هناك بعض النصوص الآشورية التي نصت على أن الطلاق كان بيد الرجل أي أنه يطلق زوجته متى شاء وهو ما يسمى ((الطلاق التعسفي)) أي أن الزوج يطلق زوجته بمشيئته حتى وإن كانت هذه المرأة لم تقترف أي ذنب وهذا ما جاء في نص المادة (٣٧) من مجموعة الألواح التشريعية الآشورية التسع ((إذا طلق رجل زوجته فإذا شاء يعطيها شيئاً وإذا لم يشأ فلا يعطيها أي شيء ويتركها تذهب خالية اليدين))[١٧].

وهناك نوع ثانٍ من الطلاق وهو الطلاق السببي الذي يكون بناءاً على سبب وجيه ومثال ذلك نص المادة (١٣٨) من شريعة حمورابي (إذا أراد رجل أن يطلق زوجته التي لم تلد له أولاداً، فعليه أن يعوضها نقوداً بقدر مهرها ويسلمها الهدية التي جلبتها من بيت أبيها ثم يطلقها)[١٨].

وهناك نوع آخر من الطلاق وهو ما يسمى بالطلاق ((الكمي)) وهو الطلاق الذي يتم عند غياب الزوج لمدة من الزمن عن بيته وزوجته بعدها يعطي القانون الحق للزوجة من الزواج بآخر كما في المادة (٣٦) من المجموعة التشريعية الآشورية، ومهما يكن من أمر فإن القانون في العراق القديم أعطى الحق للزوجة في بعض الحالات بطلب الطلاق من زوجها، مثال ذلك المادة (١٤٢) من شريعة حمورابي، إذا كرهت المرأة زوجها وقالت له لا تأخذني ((لا تضاجعني)) فإذا كانت المرأة محترسة ولم ترتكب خطيئة بينما الرجل (زوجها) يخرج كثيراً من البيت ويحط من شأنها فلا جرم على تلك المرأة وأعطى المشرع العراقي (إدارة البلدة) حق دراسة سلوك الزوجين ومن ثم اتخاذ القرار المناسب وخلاصته نصرة المظلوم رجلاً كان أم امرأة[١٩].

يتضح مما تقدم أن المشرع العراقي القديم قد بين حقوق الزوجة حتى في طلب الطلاق من زوجها وذلك لإنصافها من الرجل الذي كان هو صاحب السلطة المطلقة في المجتمعات العراقية القديمة .. هذا وإن القانون في العراق القديم قد اتصف بقدر كبير من العدل والإنصاف[٢٠].

٣- حق البنت في الوراثة:

منذ العصور القديمة نصت القوانين والتشريعات في العراق القديم على حق البنت في الوراثة، مثلما هو الحق للأولاد، فكانت مساواتها بالولد من الأمور المهمة حتى لا تضيع حقوقهن من أملاك أبيهن[٢١].

جاءت القوانين القديمة {قانون نفر رقيم (١)، والمادة (١٨٠، ١٨١) من قانون حمورابي} أنه إذا كان رجل لديه بنت من نوع الكاهنات سواء كانت كاهنة عليا أو غيرها من نوع (ناديتوم أو قادشتوم أو كولماشيتو) ولم يمنحها هديتها فبعد وفاة الوالد لها (الحق) أن تأخذ ثلث ميراثها من أموال بيت الوالد وتنتفع به طيلة حياتها، وميراثها يعود بعد وفاتها لأخوتها[٢٢].

وعلى العموم فان القوانين العراقية القديمة أكدت بأن البنت (الكاهنة) خاصة كان لها أن ترث من والدها وأيضاً البنت العازبة .. أما البنت بشكل عام فلم تذكر النصوص القانونية لشرائع العراق المختلفة أي ذكر لوراثتها لأبيها لأنه لم تصلنا نصوص صريحة المضمون حوله[٢٣] ولكن المرأة تمتعت بالحقوق الأساسية مثل حقها في الرعاية من قبل والدها أو

أسرتها لهذا فإننا لا نرى مثلاً (وأد البنات) في العراق القديم مثلما كان في بعض القبائل العربية قبل الإسلام، ونرى المرأة قد تبوأت مناصب هامة مثل العمل الكهنوتي والعمل الإداري .. لذا فإن المرأة كانت على قدر كبير من الأهمية وقد لعبت دوراً في الحياة العامة لا يقل عن دور أي رجل[٢٤].

ثانياً: دور المرأة العراقية في الحياة السياسية:

كان للمرأة دورٌ بارزٌ في الحياة السياسية كما هي عليه في الحياة الاجتماعية والدينية فقد وصلت الكثير من النساء إلى دفة الحكم واستطعن أن يتولينَ شؤون البلاد .. إلى جانب هذا فقد تمتعت زوجات الملوك وأقاربهم من أخوات وبنات بمكانة كبيرة فقد خصص لهن قصور خاصة للسكن[٢٥]. وفي بعض الأجنحة الخاصة من القصور سميت (جناح حريم البلاط) وتمت حراستهن بواسطة الخصيان حتى أن أسلوب معيشتهن كان مقرراً ومنظماً بتعليمات ملكية، ولقد علمنا من العديد من الرسائل التي كتبت في البلاط وخصوصاً في المدّة الأخيرة من عهد المملكة الآشورية بأن تأثير زوجة الملك وأمه كانت له أهمية من الناحية السياسية وألقت ضوءاً على حكمهن وخصوصاً الشهرة التي حصلت عليها الملكة (سمير أميس) أرملة الملك الآشوري (شمشي- أدد الخامس (٨٢٨- ٨١١ ق. م))[٢٦].

وقد خلفه على العرش أبنه القاصر الصغير المسمى ((أدد- نيراري الثالث)) (٨١٠- ٨٧٣ ق. م) فصارت أمه الملكة سمو- رامات وصية على العرش وحكمت المملكة نيابة عنه طوال خمس سنوات.

وهناك ملكة أخرى ذكرها المؤرخ هيرودتس بانها حكمت بلاد بابل وسماها (نيتوكرس) ونسب إليها أعمالاً جسيمة في البناء ولاسيما الري والسدود[٢٧]. وكان الكثير من الطامحين قد وصلوا إلى دفة الحكم عن طريق المصاهرات وخير دليل على ذلك وصول (جودية ٢٠٩٣- ٢٠٧٣ ق. م) على عرش لكش حيث لم يكن من السلالة الحاكمة ولم يرد اسم أبيه مما قد يوحي بأصله الوضيع وقد توحي أعماله الكثيرة التي بدأها خلال مدة حكمه إلى نشاط غير اعتيادي ربما كان قد دفعه إلى أخذ العرش بطريقة لا نعرفها الآن وربما يكون زواجه من (نين- اللا) أبنة (أور- باو) حاكم لكش لهُ علاقة بحصوله على العرش[٢٨].

كذلك من الأدلة على المصاهرات السياسية إرسال (أَبيل كين) ملك ماري أبنته (تارام أورام) زوجةً لأور- نامو ملك أور الذي حكم من (٢٠٦٠- ٢٠٤٢ ق. م) كذلك تزوج أحد

حكام مملكة ماري من إحدى بنات أور– نمو[٢٩]. من النصين السابقين يتضح لنا كيف كان دور النساء في تاريخ العراق القديم بارزاً في وصول العديد من الشخصيات إلى الحكم عن طريق المصاهرات السياسية.

نالت كثير من النساء في العراق القديم المكانة المرموقة حتى وصل بعضهن إلى كرسي الحكم ومنهم الملكة الآشورية (سمو– رمات) وهي زوجة الملك الآشوري (شمشي– أدد) الخامس (٨٢٨– ٨١١ ق. م) واسمها مركب من الكلمتين (سمو Sammu) وتعني حمامة و(رمات) أي محبوبة فيكون معنى اسمها (محبوبة الحمام)[٣٠]. حكمت الملكة سمير أميس خمس سنوات وصيةً على ابنها الصغير (أدد– نيراري)[٣١]. وهناك قصة أسطورية ذكرها هيرودتس عن هذه الملكة تم نقلها من كهنة بابل واعتبر أصلها بابلياً وتزوجها الملك الآشوري (شمشي– أدد) وإذا صح القول عن كهنة بابل بحبهم لملكتهم فقد بالغوا في وصفها ثم ان هيرودتس قد أضاف من خياله الكثير لذلك فقد زادت شهرتها حتى بعد هيرودتس بل إن أحد الأنهار في أرمينيا بالقرب من (وان) سمي بنهر (سمير– أميس)، ويذكر لنا هيرودتس ملكة أخرى سماها (نيتوكرس) ويقول أنها بابلية وكانت لها أعمال جسيمة في البناء والتشييد وبناء السدود وحفر الأنهار ويذكر أن كورش الفارسي الأخميني قد شن حملته على بابل واحتلها في مدة ابنها الذي يسميه (لابينتوس) ويعتقد أنه تحريف لأسم الملك البابلي (نبونيدس) آخر ملوك الدولة البابلية الحديثة[٣٢].

من خلال ما تقدم يتبين لنا بأن سكان وادي الرافدين سواء كانوا بابليين أو آشوريين قد تقبلوا فكرة الملكة وقدسوها واحترموها وهذا دليل آخر على مكانة المرأة ودورها السياسي في العراق القديم.

ثالثاً: دور المرأة العراقية في الحياة الدينية:

لعبت المرأة العراقية منذ العصور القديمة دوراً كبيراً بحيث نالت نصيباً وافراً من المكانة والإجلال حتى وصلت تلك المكانة إلى درجة العبادة فكانت تعبد في كثير من الأزمنة والعصور وجعلت لها معابد خاصة بصفتها إحدى الآلهات الكبيرة في بلاد ما بين النهرين حيث نجد مظاهر الآلهة تتمثل في القصص التي تشير إلى (أينانا) ملكة الأرض والفردوس، آلهة الخصوبة والنماء[٣٣].

١- عبادة الأم:

إن اهتمام سكان العراق القديم بالزراعة الديمية التي تعتبر السبيل إلى استمرار العيش والتجمع ولدت لديهم فكرة الخصوبة والتكاثر وعبادة كل شيء يرمز إلى الخصوبة ومنها (عبادة الآلهة الأم)[٣٤]، من خلال التنقيبات الآثارية التي أجريت في المواقع الآثارية القديمة وخاصة في (جرمو) (وتل الصوان)[٣٥]، والذي يرقى زمنها إلى الألف السادس قبل الميلاد فقد كشفت لنا عن كثير من الدمى والتماثيل التي تمثل المرأة في كثير من مراحل الأمومة فبعض التماثيل تشير إلى نساء (حبالى) صنعت لتشبه بالقوى الخلاقة في الطبيعة وبعض التماثيل صنعت على شكل امرأة ذات ثديين كبيرين وهذه ترمز إلى وفرة الغذاء وبعض الدمى تشبه بامرأة في حالة قرفصاء وهذا يشير إلى امرأة في حالة ولادة[٣٦].

ويشير صبيح مسكوني في كتابه تاريخ القانون العراقي إن المرأة احتلت مكانة كبيرة في العراق القديم وبين لنا كيف وضعت أقوال وحكم تبين دور المرأة وخاصة الأم منها ((أصغ إلى كلام أُمك كما تصغي إلى كلام الآلهة))[٣٧]. وهذا دليل على مكانة المرأة وأهميتها في العراق القديم.

كذلك من الآلهة التي عبدت في بلاد الرافدين الملكة ((أينانا)) والتي تعني ملكة السماء وهي آلهة سومرية يعتقد أنها البنت الأولى للقمر وسيدة الصباح ونجمة السماء ... ومسؤولة عن الخصوبة في البشر[٣٨].

وكذلك مما يدل على أهمية المرأة في بلاد الرافدين أنها دعيت ((الربة)) والآلهة ووجود التماثيل التي توحي إلى ذلك حيث جاء في إحدى القطع الآثارية ما يؤكد هذا الشيء ((رأس امرأة دعيت الربة نينكال بعيون واسعة وحواجب ثخينة ملتقية وأنف طويل وفم صغير وشعر ملتف حول الرأس تاركاً الأذنين بارزتين مع ما يشبه العمامة حول الرأس)) وهذا الوصف يدل على عظمة الربة نينكال التي عبدها السومريون في بلاد وادي الرافدين[٣٩].

٢- دور المرأة العراقية في إدارة المعابد:

لكل مرفق من مرافق الحياة المختلفة قديماً وحديثاً جهاز يدير شؤونه واحتياجاته، والكهنة هم الاشخاص الذين كانوا يديرون المعابد في العراق القديم وينقسم الكهنة إلى رجال (كهنة) ونساء (كاهنات) وما يَخصنا في بحثنا هو دور المرأة في إدارة المعابد[٤٠].

هناك أنواع متعددة من الكاهنات التي تدير المعبد ولكن على تفاوت فيما بينهم ويأتي على رأس الكاهنات نوع يسمى (أينتوم) وتذكر المصادر التاريخية المتوافرة أن كاهنة الأينتوم خلال العصر السومري كان لها مكانة رفيعة جداً حتى ان اسمها يذكر دائماً قبل اسم الكاهن حتى وإن كانت زوجته وان الزواج وإنجاب الاطفال كان مسموحاً لهذا النوع من الكاهنات ولكن حرم عليهن خلال مدة حكم حمورابي (١٧٩٢- ١٧٥٠ ق. م) ومن واجباتها في المعبد (القيام بدور العروسة في عملية الزواج المقدس) وكان يتم اختيار هذا النوع من الكاهنات عن طريق استخارة الفأل ويتم تعيينهن بإرادة ملكية وكانت تسكن في بيت خاص يسمى (كيبار)[٤١].

أما النوع الثاني من الكاهنات فكان يسمى (ناديتوم) ويأتي هذا النوع في المرتبة الثانية ولا يتم اختيار الكاهنات فيه عن طريق الفأل إنما عن طريق (نذرهن) إلى المعبد منذ الولادة وان هذا النوع يتم اختياره من بنات موظفي الدولة ومن حق هذا النوع من الكاهنات الزواج ولكن بشرط عدم انجاب الأطفال، لهذا كانت الكاهنات من هذا النوع (ناديتوم) تهدي زوجها امرأة من وسط ديني تدعى (شوكويتم) لتقوم بإنجاب الأطفال وتسكن كاهنات الناديتوم في مكان يسمى الـ(گگوم) وهو يشبه الدير ويكون داخل المعبد الرئيسي ويتم حراستهن ومن حق بعض الكاهنات من هذا النوع العيش خارج الدير ولكن لا يحق لهن القيام بالأعمال الغير مسموح بها وإلا فإن عقوبتهن الحرق[٤٢].

أما النوع الثالث من الكاهنات فيسمى (شوكويتم) ومن حق هذا النوع الزواج وإنجاب الاطفال.. ومن أهم واجبات هذا النوع من الكاهنات المساهمة في مراسيم الزواج المقدس وخاصة مرافقة العروس ليلة الزفاف وهي بأجمل ملابسها وحليها.

أما النوع الرابع فيسمى (قادشتوم) ومعناها باللغة الأكدية الموهوبة إلى الآلهة وتسمى أيضاً المقدسة ولهذا النوع من الكاهنات الحق في الزواج وإنجاب الأطفال وكذلك يعمل بعضهن ممرضات واستعمل هذا اللقب للآلهة عشتار ولفظت (اشتاريتوم) ويعملن أيضاً في خدمة القصر والمعبد في آن واحد ولهذا فهي لا تعتمد في عيشها على المعبد فقط.

أما النوع الخامس والأخير من الكاهنات يسمى (كولماشيتوم) ويلفظ اسم هذه الكاهنة باللغة السومرية (نو- بار) ويتم اختيار هذا النوع من الكاهنات من العوائل المعروفة في مكانتها في المجتمع ولهذا النوع من الكاهنات الحق في الزواج وانجاب الأطفال والأهم أنه

ليس من المفروض عليها السكن في الدير وإنما لها حرية الاختيار في السكن .. وهذا النوع أقل مرتبة من (القادشتوم) غير أن وظيفتها في المعبد تشبه إلى حد ما وظيفة القادشتوم[٤٣].

رابعاً: دور المرأة في الحياة الاقتصادية:

لعبت التجارة والمهن الحرفية الأخرى في العراق دوراً مهماً في تنشيط اقتصاده وخاصة أن موقعه الجغرافي المهم في قلب العالم القديم أعطاه ميزة ساعدت على إقامة مجتمع متماسك.. فضلاً عن وفرة خيراته جعلت هناك فائضاً في الإنتاج.

ما يهمنا هنا دور المرأة العراقية في الحياة الاقتصادية، هل زاولت الأعمال التجارية والحرفية والمهن الأخرى أم كانت امرأة معزولة في بيتها فقط؟ إن المصادر التاريخية والوثائق الموجودة تؤكد دور المرأة في كثير من الأعمال حالها حال الرجل ومن أبرز الأعمال التي عملت فيها المرأة هي العمل في الحقل أي (الفلاحة) حيث كانت تشارك الرجل في الزراعة والإنتاج حتى أن بعض النساء امتلكن مزارع خاصة[٤٤]، وبعضهن كُنَّ يعملن في مجاميع كبيرة في الحقل على عكس الرجال وذلك بسبب طبيعة المرأة حيث أنها أقل طاقة من الرجل.. وكانت المرأة تشارك في كل أصناف العمل الزراعي وخاصة الزراعة اليدوية[٤٥].

من الأعمال الأخرى التي شاركت فيها المرأة هي الأعمال الحرفية والتجارية وجاءت شريعة حمورابي تؤكد هذا الأمر حيث وجدت أربع فقرات في مسألة البيوع فقد مارست المرأة العراقية مهنة بيع الخمر وهي مهنة مهمة في ذلك الوقت والذي يزاولها يحتاج إلى مكانة ومركز تجاري مهم علماً أن مزاولة بيع الخمر كانت مقتصرة على النساء فقط دون الرجال[٤٦]. وكانت تجارة بيع الخمر التي تزاولها المرأة العراقية واضحة جداً ومن النصوص التي تؤكد مزاولة هذه المهنة ما جاء في شريعة حمورابي المادة (١٠٨) ((إذا استلمت بائعة الخمر نقوداً بالوزن الثقيل ثمناً للبيرة بدلاً من استلامها حبوباً أو إنها جعلت قيمة البيرة أقل من قيمة الحبوب المستلمة فعليهم أن يثبتوا هذا التحايل على بائعة الخمر ويقذفونها في الماء (النهر) ومن هذا النص يتبين دور المرأة في مزاولة المهنة وفي نفس الوقت معاقبتها إن حاولت الغش أو التحايل))[٤٧].

ومن الأعمال والحرف الأخرى التي حضيت بها المرأة العراقية هي مهنة (النسيج) وهي مهنة خاصة بالنساء وقد اطلق السومريون على النساجات اسم (ادتو) وهناك نصوص

أخرى من دولة أور الثالثة تؤكد أن مهنة النسيج كانت خاصة بالإماء وكن يعملن في مصانع خاصة بالمعبد أو لبعض المتنفذين(٤٨).

ومن المهن الأخرى التي مارستها المرأة في العراق القديم هي مهنة (الرضاعة) مقابل أجور تأخذها المرضعة .. وجاءت نصوص مسمارية تؤكد هذه المهنة منها نص من موقع ((سبار)) كتب فيها:

((إن أوتشي أيا إبنة وارازا أعطت ابنها افازونو إلى مرضعة ودفعت لها أجورها من زيت وملابس فارتاح قلبها ولذلك لا يحق لأحد منهن بعد ذلك أن ترفع دعوى ضد الأخرى، أما إذا أشتكت إحداهن على الأخرى فإن عليها أن تدفع (٣/١) مناً من الفضة))(٤٩).

وإلى جانب النصوص التي أكدت مهنة الرضاعة جاءت نصوص أخرى تؤكد على الضوابط التي تقع على المربية أو المرضعة والعواقب إن أخلت بشروط الإرضاع وهذا الكلام يؤكد النص الذي وصلنا من شريعة حمورابي في المادة (١٩٤) ونصه ((إذا أعطى رجل ابنه إلى مرضعة وهذا الابن قد مات في يد المرضعة، فإذا تعهدت المرضعة الرضاعة طفلاً آخر دون معرفة أبيه وأمه بموت الطفل الأول فعليهم إثبات ذلك عليها وبسبب تعهدها إرضاع طفل آخر بدون معرفة أبيه وأمه بموت الطفل الأول، عليهم أن يقطعوا ثدييها)) إن هذا النص يؤكد على أهمية هذه المهنة وما يترتب على الطرف المخل بشروطها من عقوبات(٥٠).

كذلك من المهن الأخرى مهنة الخياطة وتطريز الملابس وصناعة العطور(٥١).

الهوامش:

(١) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ط١ (بيروت، دار أحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ص٢٠٥.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، حققه: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، ص١٥٧.

(٣) الأزهري، تهذيب اللغة، ص٢٠٥.

(٤) أبن منظور، لسان العرب، ص١٥٧.

(٥) الأزهري، تهذيب اللغة، ص٢٠٥.

(٦) أبن منظور، لسان العرب، ص١٥٦، ١٥٧.

(٧) العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب (الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل (جامعة الموصل)، ١٩٨١م)، ص١٣٦.

(٨) الأمين، محمود، قوانين حمورابي (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م)، ص٥٣؛

Bella, vivante, women's Roles in Ancient civilizations, A Reference Guide (London (G.P) 1999), P. 86- 87

(٩) سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، ط٢(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م)، ص٤٤- ٥٠، حاطوم، نور الدين (وآخرون)، موجز تاريخ الحضارة، ج١ (دمشق، ١٩٦٤م)، ص٢١٧.

(١٠) الأمين، محمود، قوانين حمورابي، ص٥٣؛

M. Stol, Private life in Ancient Mesopotamia, "in civilization of the Ancient Near East. Vol.3, ed by Sack M. Sasson (New York, 1995), P. 486"

(١١) عقراوي، ثلما أستيان، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ط١ (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨م)، ص١٥٥.

(١٢) نوزي: من المواقع الآثارية المهمة في حضارة بلاد الرافدين تقع في محافظة كركوك شمال العراق وتعرف أطلالها باسم يورغان تبه وعرفة قديماً باسم أَرابخا. ينظر: اوينهايم- ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨١م)، ص٤٧٨.

(١٣) العطار، أحمد هاشم إبراهيم، حقوق المرأة في الشرائع العراقية القديمة ط١(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠١٠م)، ص٣٨.

(١٤) العطار، أحمد هاشم، حقوق المرأة، ص٣٩.

(١٥) الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، ط١(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د. ت)، ص١٩٩.

(١٦) سليمان، عامر، العراق في التاريخ، مقالة بعنوان ((جوانب من حضارة العراق)) (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣م)، ص١٨٨.

(١٧) العطار، أحمد هاشم إبراهيم، حقوق المرأة، ص٧٠.

(١٨) الأمين، محمود، قوانين حمورابي، ص٥٣.

(١٩) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم من العصر الأكدي حتى نهاية سلالة بابل الأولى (بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٨٣م)، ج٢/ ص١١٠؛ العطار أحمد هاشم إبراهيم، حقوق المرأة، ص٧٠.

(٢٠) ديبان، جمال مولود، تطور فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة، ط١ (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١م)، ص١٣٨.

(٢١) العطار، أحمد هاشم إبراهيم، حقوق المرأة، ص٧٧.

(٢٢) رقيم نفر: وهو رقيم عثرت عليه بعثة التنقيب الأمريكية في مدينة نفر عام ١٩٤٩- ١٩٥٠م. وهي من المدن السومرية الشهيرة التي تقع حالياً على بعد (٧ كم) عن مدينة عفك جنوب بغداد. ينظر: مسكوني، صبيح، تاريخ القانون العراقي القديم، ط١ (بغداد، مطبعة شفيق، ١٩٧١م)، ص٢٤٧.

(٢٣) العطار، أحمد هاشم إبراهيم، حقوق المرأة، ص٧٩.

(٢٤) هناك إشارات نقشت على تمثال (جوديا) تذكر أن البيت الذي ليس فيه ولد ذَكّر .. تستحقه البنت كوارثة. ينظر: الهاشمي، رضا جواد، نظام العائلة في العهد البابلي القديم (النجف، مطبعة الآداب، ١٩٧٠م)، ص١٥٨.

(٢٥) الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، ج١، ص١٧١.

(٢٦) أوپنهايم- ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨١م)، ص١٢٨.

(٢٧) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٧٣م)، ص٥١٠.

(٢٨) الأحمد، سامي سعيد، المدخل إلى تاريخ العالم القديم (العراق القديم) (بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٣م)، ج١/ص٩٥.

(٢٩) الأحمد، سامي سعيد، المدخل إلى تاريخ العالم القديم، ج٢/ ص١٠٩.

(٣٠) باقر، طه، مقدمة، ج١/ ص٥٠٨- ٥٠٩.

(٣١) أوپنهايم- ليو، بلاد ما بين النهرين، ص١٢٨؛

T. R. Glover, The Ancient world (London, New York, 1944), P. 47; A. Kuhrt, The Ancient Near East, Vol. II (London and New York, 1995), P. 497.

(٣٢) باقر، طه، مقدمة، ج١/ ص٥٠٩- ٥١٠١.

(٣٣) كريمر، صموئيل نوح ودايان ولكشتاين، اينانا ملكة الأرض والفردوس، أسطورة بلاد ما بين النهرين، ترجمة: د. شاكر الحاج مخلف، ط١ (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٨م)، ص٥١- ٥٢.

(٣٤) رشيد، فوزي (الديانة)، حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م)، ج١/ص١٤٦.

(٣٥) جرمو: أقدم مستوطن زراعي تقع على بعد ٣٥ كم شرقي مدينة كركوك.

(٣٦) تل الصوان: تل صغير ذو شكل بيضوي يقع على ضفة نهر دجلة اليمنى على بعد ١١ كم جنوب سامراء وجد فيه دمى صغيرة للآلهة الأم.

(٣٧) ينظر: الدباغ، تقي، الثورة الزراعية والقرى الأولى، حضارة العراق، ج١/ص١٢١.

(٣٨) لويد، ستون، آثار بلاد الرافدين، ترجمة: د. سامي سعيد الأحمد (بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م)، ص٢٠٠.

(٣٩) مسكوني، صبيح، تاريخ القانون العراقي القديم، ص١٧٤.

(٤٠) كريمر ودايان ولكشتاين، أينانا ملكة الأرض والفردوس، ص٥٦- ٥٧.

(٤١) الأحمد، سامي سعيد، المدخل إلى تاريخ العالم القديم، ج٢/ ص١٣٣؛ جواد، حسن فاضل، حكمة الكلدانيين، القسم الأول (مقدمات ونصوص) مراجعة: أ. د. عبد الأمير الأعسم (بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٠م)، ص٩١.

(٤٢) العطار، أحمد هاشم إبراهيم، حقوق المرأة، ص٩٩.

(٤٣) رشيد، فوزي، الديانة، حضارة العراق، ج١/ ص١٩١.

(٤٤) رشيد، فوزي، الديانة، حضارة العراق، ج١/ ص١٩٢.

(٤٥) عقراوي، تلما أستيان، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ص١٨٣.

(٤٦) العطار، أحمد هاشم إبراهيم، حقوق المرأة، ص١١٥- ١١٧.

(٤٧) جماعة من علماء الآثار السوفيت، العراق القديم، دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، تحقيق وترجمة: سليم طه التكريتي، ط٢ (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م)، ص٧١.

(٤٨) سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، ج١/ ص٢٤٧.

(٤٩) العطار، أحمد هاشم إبراهيم، حقوق المرأة، ص١٠٧.

(٥٠) المتولي، نوالة أحمد، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة- أور الثالثة، ط٥ (بغداد، دار الحوراء، ٢٠٠٧م)، ص٢٦٤.

(٥١) عقراوي، تلما أستيان، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ص٢٠٧.

(٥٢) العطار، أحمد هاشم إبراهيم، حقوق المرأة، ص١١٦- ١١٧.

(٥٣) العطار، أحمد هاشم إبراهيم، حقوق المرأة، ص١٢٠.

قائمة المصادر والمراجع:

١- الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم من العصر الأكدي حتى نهاية سلالة بابل الأولى (بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٨٣م).

٢- الأحمد، سامي سعيد، المدخل إلى تاريخ العالم القديم (العراق القديم) (بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٣م).

٣- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ط١ (بيروت، دار أحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

٤- الأمين، محمود، قوانين حمورابي (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م).

٥- أوپنهايم- ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨١م).

٦- اوينهايم- ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨١م).

٧- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٧٣م).

٨- جماعة من علماء الآثار السوفيت، العراق القديم، دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، تحقيق وترجمة: سليم طه التكريتي، ط٢ (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م).

٩- جواد، حسن فاضل، حكمة الكلدانيين، القسم الأول (مقدمات ونصوص) مراجعة: أ. د. عبد الأمير الأعسم (بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٠م).

١٠- حاطوم، نور الدين (وآخرون)، موجز تاريخ الحضارة، ج١ (دمشق، ١٩٦٤م).

١١- الدباغ، تقي، الثورة الزراعية والقرى الأولى، حضارة العراق.

١٢- ديبان، جمال مولود، تطور فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة، ط١ (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١م).

١٣- رشيد، فوزي (الديانة)، حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م).

١٤- سليمان، عامر، العراق في التاريخ، مقالة بعنوان ((جوانب من حضارة العراق)) (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣م).

١٥- سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، ط٢(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م).

١٦- الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، ط١(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د. ت).

١٧- العطار، أحمد هاشم إبراهيم، حقوق المرأة في الشرائع العراقية القديمة ط١(بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠١٠م).

١٨- عقراوي، ثلما أستيان، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ط١ (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨م).
١٩- العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب (الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل (جامعة الموصل)، ١٩٨١م).
٢٠- كريمر، صموئيل نوح ودايان ولكشتاين، اينانا ملكة الأرض والفردوس، أسطورة بلاد ما بين النهرين، ترجمة: د. شاكر الحاج مخلف، ط١ (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٨م).
٢١- لويد، ستون، آثار بلاد الرافدين، ترجمة: د. سامي سعيد الأحمد (بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م).
٢٢- المتولي، نوالة أحمد، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة- أور الثالثة، ط٥ (بغداد، دار الحوراء، ٢٠٠٧م).
٢٣- مسكوني، صبيح، تاريخ القانون العراقي القديم، ط١ (بغداد، مطبعة شفيق، ١٩٧١م).
٢٤- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، حققه: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥).
٢٥- الهاشمي، رضا جواد، نظام العائلة في العهد البابلي القديم (النجف، مطبعة الآداب، ١٩٧٠م).

المصادر والمراجع الإنكليزية:

1- Bella, vivante, women's Roles in Ancient civilizations, A Reference Guide (London (G.P) 1999).
2- M. Stol, Private life in Ancient Mesopotamia, "in civilization of the Ancient Near East. Vol.3, ed by Sack M. Sasson (New York, 1995).
3- T. R. Glover, The Ancient world (London, New York, 1944), P. 47; A. Kuhrt, The Ancient Near East, Vol. II (London and New York, 1995).